خصوا أنفسهم

"لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات" (مت١٩:١٢)

كلمة خصي في اللغة الإنجليزية مشتقة في الأصل اليوناني من كلمة تعني "حارس سرير". ولعل هذا المعنى يوحي بالوظيفة التي كان يقوم بها الخصيان في القصور الملكية وهي حراسة وخدمة مخادع الملك والملكة. ولكونهم مخصصين لهذه الوظيفة فإنه يتم انتزاع خصاهم فتبطل لديهم كل حرارة ووظيفة جنسية. ولكون الخصيان خضعوا لهذه العملية فإنهم لا تكون لديهم قدرة على تكوين أسرة وسلالة كما لا تكون لديهم أية ولاءات وبالتالي يكونون محل ثقة وائتمان الملك على خاصته.

واعتاد الكثيرون في تفسير هذه الآية قصرها على الرهبان والنساك، أما المعنى الأعمق فيمتد ليشمل كل بني الملكوت الذين يسر الله بإئتمانهم على أسرار ملكوته. فكل من ولد من الماء والروح مطالب بأن يصير خصياً لملكوت السموات. وخصيان الملكوت أولئك لا يتم خصاؤهم قهراً بل هم يخصون أنفسهم بإرادة حرة وعزيمة ثابتة.

وعملية الخصاء الروحي تتم على ثلاثة مستويات متراتبة:

١) **خصاء العقل**: وهو عملية هدم "ظنون وكل علو يرتفع ضد معرفة الله واستئسار كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو١٠:٥). هو عملية الإبقاء على الذهن عقيماً من جهة أفكار ومفاهيم وأباطيل العالم. هو "هدم لمح أفكار الآلام والصلاة بلا طياشة" كما يقول مار اسحق السرياني.

٢) **خصاء القلب**: هو عملية قطع كل رباطات المشاعر والعواطف البشرية. هو "ختان القلب بالروح" (رو٢:٢٩). هو العمل بقول الرب: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو١٤:٢٦).

٣) **خصاء الإرادة:** هو عملية كُفر بمشيئة الذات. هو التنازل عن كل رغبة والتخلي عن كل هوى شخصي. هو تنصيب المسيح سلطاناً على النفس يقول " لهذا إذهب فيذهب، ولآخر ائت فيأتي، ولعبده افعل هذا فيفعل" (لو٧:٨).

وللقديس أنطونيوس قول رائع في رسالته الأولى: "ويُعَلِّم الروح العقل كيف يشفي جراحات النفس وكيف تتخلص منها كلها، تلك الشهوات التي امتزجت

بأعضاء الجسد، وشهوات أخرى غريبة تماماً عن الجسد ولكنها اختلطت بالإرادة". هذا القول الحاذق يوضح تراتبية عملية الخصاء. فالروح القدس يُعَلِّم العقل ويخصيه حيث أن الفكر هو ساحة كل قتال. والعقل بدوره يشفي جراحات القلب. أما تنقية الإرادة فيأتي عندما يتطهر القلب من كل شهوة غريبة.

هذا هو في الواقع كل جهاد خصيان الملكوت الذين علموا وتيقنوا أنهم أصدقاء العريس ولم يتجاسروا أن يغتصبوا العروس ومجد العرس لذواتهم، فمن ثم حسبوا أمناء، وجعلوا للخدمة (١تي١:٢١)، وأدخلوا إلى حجال الملك (نش١:٤).